آفاق وسياقات
تشرين الأول ٢٠٢٥ / العدد ٢ – ص. ١٠٤-١٠٥

الأقلّيّات الدينيّة في لبنان

دراسة في الثقافة الأساسيّة للمعتقدات الدينيّة والموروثات الاجتماعيّة وتأثيرهما على السلوك الجمعيّ

الموحّدون الدروز أنموذجًا[1]

حسام نصّار

خلاصة

تَندَرِجُ هذه الأُطروحة من ضمنِ المَبَاحِث الَّتي تَتَمَحوَر حول دراسة الثقافة الأساسيَّة للموروث الاجتماعيّ ومفاهيم الدين والتديُّن، وتأثيرها على السلوك الجمعيّ عند المُوحِّدين الدروز، بوصفهم أقلِّيَّةً عدديَّةً في لبنان. ولمَّا كان الارتباطُ وثيقًا بين تأثير الموروثات الاجتماعيَّة على المفاهيم الدينيَّة من جهة، وتأثير المُعتقَدات الدينيَّة على السُلوكيَّات الاجتماعيَّة من جهة أُخرى. بات البحث العلميّ في بُنيَة الأُنظومة الدينيَّة والاجتماعيَّة، وحتَّى السياسيَّة، شرطًا لتظهير بعض مُكوِّناتِها وعناصِرها ومُجمَل مناهجِها وأُسَسِهَا، وذلك من أجل معرفة أسباب ربط الأفكار والسُلوكيَّات الدينيَّة بالهُوِيَّة الطائفيَّة والمذهبيَّة.

عبر قراءة أُفهوم الأقلِّيَّات الدينيَّة والبُعد الاجتماعيّ في تشكيل خصوصيَّة ثقافتها الأقِلَّاويَّة المُؤَدلَجَة، عالَجَت هذه الأُطروحة البُنية الاجتماعيَّة والدينيَّة لطائفة المُوحِّدين الدروز، بَدءًا بالنظام المُجتمَعيّ الديني ومُقوِّماته عبر تشريح واقع السُلطة الدينيَّة، وأيديولوجيَّة المُجتمَع الدرزيّ بهُوِيَّته وانتمائه الطائفيّ، وتَركيبَة السُلطة الزَمَنِيَّة؛ هذا بالإضافة إلى لمحة تاريخيَّة لنشوء الدعوة التوحيديَّة ومفهوم الإمامة، ومن ثُمَّ التأصُّل والتخصُّل التوحيديّ، وتمايُز النظام القضائيّ المذهبيّ بأحكامه وقوانينه وأحواله الشخصيَّة، ومكانة المرأة في الدين والمُجتمَع. كما أنّها عالَجَت بعض جوانب الطقوس المأتميَّة، وصولًا إلى أُفهوم التقمُّص.

(١) إشراف البروفسّورة رولا تلحوق.

بوساطة كُلّ تلك المُسبَقَات وغيرها، تمَّت دراسة أسباب التديُّن ونتائجه، وتحليلها وتعليلها، وانسحب هذا العمل على كلّ ما يتَّصل بالتديُّن ويتعلَّق بمادَّته وبتطوُّر مفاهيمه تاريخيًّا واجتماعيًّا، وتطوُّر السلوك الجمعيّ الَّذي أَخَذَ ينمو معه، ودراسة العقليَّة الطائفيَّة الدرزيَّة الَّتي لا صلة لها بالعقيدة التوحيديَّة، وكيفيّة سطوها عليها حتَّى صارت أقوى منها؛ بذلك، حلَّت الموروثات والمرويَّات ذات الطابع الشعبيّ محلّ الأصول الدينيَّة الّتي هي مَوضِع إجماع عقائديّ. وتظهر الدراسة كيف أنَّ سطوتها تخطَّت الشرائح الشعبيَّة لتلفَّ المُثقَّفين بغمامتها. بالإضافة إلى تأثيرات التديُّن النفسيَّة على علاقة أفراد هذه الجماعة بعضهم ببعض، وعلاقاتهم بالجماعات الأُخرى داخل التركيبة اللبنانيَّة المُتَنَوِّعَة. زِد عليه قراءة بعض التأثيرات النفسيَّة المُحتمَلة للدين على الأفكار والمشاعر والسُلوكيَّات، وكيفيَّة تحسين المُعتقَدات لتمثّل أخلاقيَّاتٍ إنسانيَّةً بعيدةً من التعصُّب والتَشَدُّد الديني، وتفكيك العلاقة بين الدين والهُوِيَّة وتشريح نتائجها على أرض الواقع المَعيش في أبعاده الدِّينيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، وغيرها.

كلمات مفتاحيّة

الموحِّدون الدروز – التديّن والهوِّيَّة الطائفيّة – الموروثات الاجتماعيّة – الأقليّات الدينيّة – السلوك الجمعيّ